[68] وإنما قال " بيننا " لأنه ضم المؤمنين به إلى نفسه، وقد كان الكافرون من قومه هددوا إياه والمؤمنين به جميعا إذ قالوا: " لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا " (1) فضمهم إلى نفسه وهاجر قومه في عملهم وسار بهم إلى ربه وقال: " ربنا افتح بيننا... الخ ". وقد استمسك في دعائه باسمه الكريم: " خير الفاتحين " لما مر أن التمسك بالصفة المناسبة لمتن الدعاء تأييد بالغ بمنزلة الإقسام، وهذا بخلاف قول موسى (عليه السلام): " رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين " المنقول آنفا، لما تقدم أن لفظه (عليه السلام) ليس بدعاء حقيقة بل هو كناية عن الإمساك عن الدعوة وإرجاع للأمر إلى ا فلا مقتضي للإقسام بخلاف قول شعيب. ومن ذلك ما حكاه ا من ثناء داود وسليمان (عليهما السلام) قال تعالى: " ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد  الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين " (2). وجه الأدب في حمدهما وشكرهما ونسبة ما عندهما من فضيلة العلم إلى ا سبحانه ظاهر، فلم يقولا مثل ما حكي عن غيرهما كقول قارون لقومه إذ وعظوه أن لا يستكبر في الأرض بماله: " إنما اوتيته على علم عندي " (3) وكما حكى ا عن قوم آخرين: " فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون " (4). ولا ضير في الحمد على تفضيل ا إياهما على كثير من المؤمنين، فإنه من ذكر خصوص النعمة وبيان الواقع، وليس ذلك من التكبر على عباد ا حتى يلحق به ذم، وقد ذكر ا عن طائفة من المؤمنين سؤال التفضيل ومدحهم على علو طبعهم وسمو همتهم حيث قال: " والذين يقولون ربنا - إلى أن قال -: واجعلنا للمتقين إماما " (5).

_____

(1) الأعراف: 88. (2) النمل: 15. (3) القصص: 78. (4) غافر: 83. (5) الفرقان: 74.

_____